التعليم وعلاقته بالفعل الإبداعي

■ د. الطاهر عمار العباني
كلية الفنون والإعلام - جامعة الفاتح

الإنسان والحضارة، ثنائية مرتبطة بفعل وقدرة فاعلة، صيرورة ملزمة لعلاقة وثيقة باضطراد وسرعة لم يعد بالإمكان قياسها زمنيا .

فقد اتسم هذا التطور الحضاري بتعقيده وتشابك مكوناته التوالفية حتى اصبح بحاجة الى تحليل أكثر وقراءة أعمق لشتى جوانبه المتعددة والمتنوعة .

وكما أن ضرورة الحياة اليومية للإنسان تلزمه باستمرار، الخوض في علاقات فكرية وبحثية لاكتساب المعرفة التي تنظم مقومات حياته وعلاقتها بما حوله وأيضاً بمن حوله فإن هذه العلاقة الطردية والتوالفية بالضرورة تقود الى البحث الابداعي بمفهومه الخلقي الذي يشكل مصوغات اكتشاف غير المكتشف وبالتالي يمكن القول بأن الإبداع هو تجدد الحياة وهو الفعل الإجتماعي الذي ينتج عن تزاوج الفرد بيولوجيا وفكريا مع البيئة والمحيط اللذين ساهما في تكوينه حسياً وذهنياً .

إن الابداع هو تجدد الحياة وهو فعل ناتج عن تطور تعليمي منهجي وليس مجرد هبة خارجية يظفر بها البعض دون الآخرين وفق ما ادعته نظرية الإلهام او العبقرية تفسيراً لخصوصية متميزة يتفرد بها قلة وتنتفي عن الكثرة إن الابداع جزء رئيسي لصناعة الوجود بكل مكوناته التفاعلية لصياغة مستقبل اكثر إمتاعاً وإشراقاً ، فعل بشري نشط تكون به حياة المجتمع أكثر إنسانية

في تفاعلها مع الطبيعة ومكوناتها التي هي دوما متجددة بفعل الابداع .

كما أنّ إنعدام الرؤية الإبداعية لدى الفرد الذي قد ينجز مهاماً ذهنية وقد يعج عقله بالمعلومات كالموسوعة ومع ذلك يبقى عاجزاً عن التفكيرالابداعي فهو مجرد متلق يكرر ما تلقنه دون تطور، فالإبداع في معناه البسيط هو نشاط هادف يؤدي إلى إكتشاف أو خلق اختراع شيء جديد لم يكن معروفا من قبل او استيعاب الثروة الثقافية المتوفرة إستيعاباً فاعلاً يستجيب لمتطلبات العصر (1).

كما يعّرف الإبداع بأنه إدراك شيء جديد عن العالم الخارجي وعن الذات وبالتالي لا يقوم على حالة الفرد السلبية الإنفعالية المستجيبة لنداء غامض بل على الفعالية العلمية الهادفة (2).

ولأن مفهوم الإبداع يكاد يطابق إلى حد ما مفهوم الثقافة بمعناها الانثروبولوجي الواسع الذي يشمل كل ما يصنعه أو ينتجه الفرد بعقله أو بيده روحياً أو ذهنياً لذلك تقتضي دراسة الإبداع في مجالاته المختلفة تناوله كظاهرة ثقافية تكون بالضرورة نتاجاً وفرزاً لوسائط تعليمية ممنهجة .

والإبداع قد يكون رداء الفكر الطبيعي الذي يقود بالضرورة إلى استثناءات إبداعية غاية في الدقة ، لقد رأى (نيوتن) الجاذبية في سقوط تفاحة أما (غوته) فقال أن لديه القدرة على رؤية مرحلة النمو والذبول في لحظة واحدة زمنياً ، استنباطا من مشاهدته لتفتح الزهور .

فباستيقاظ العبقرية تأخذ البصيرة لدى المبدع بعنان الحرية دون استثناء الموضوعية، يخلق ولاشيء غير الخلق المتجدد، وهذا ليس له علاقة بإعادة تشكيل سبق وإنما هو البحث عن المجهول الجديد الذي ينبثق من الحياة إلى الحياة .

إن حياة الإنسان الإجتماعي فعل نشط ، منبهات واستجابات تحمل في طياتها رصيد المجتمع الثقافي (اللاشعور الجمعي) ، كما تحمل هدفاً مستقبلياً وهو بالفعل ما يعطي الحياة معنى إجتماعياً وإنسانياً ، كما أن هذه الفعالية تتميز بأنها عقلانية نقدية وتتجاوز التقليد وهي ايضاً إنطلاقة على درب صنع الحياة تأسيساً على قواعد ومنهج متعارف عليهما مرحلياً باسم قواعد المنطق

ومناهج البحث العلمي .

ان الوجود الإنساني الاجتماعي حسب هذا التصور هو الفعالية التاريخية المحكومة بالقوانين الموضوعية ، الا انه بما يملك من وعي وعقل هما حصاد انجازاته ونشاطه المعرفي، بالضرورة سيكون في وضع يؤهله لان يخلق ظروفاً جديدة لنشاط القوانين بل والى تشكيل وجود أكثر فعالية وابتكارية ضمن هذه القوانين .

ان الفهم او الوعي القائم على التفكير والتدبير لايتم عشوائياً ولا فردياً بل هو نشاط اجتماعي (جموعي) يجري في اطار ما يسمى بالتفكير المنهجي العقلاني، اي تفكير وفق قواعد علمية والتي تسمى بالمفهوم الكلاسيكي علما. يعد العلم صورة من المعرفة التي تنمو باستمرار وقد اكد العديد من داعمي وجهة النظر هذه ان العلم هو النشاط العقلي والوحيد المتقدم وقد يستخدم التقدم هنا كمعيار لتميز المعرفة العلمية عن غيرها من المعارف ،وربما كان (كانط) هو اول الاصوات التي تعبر ضمنا عن وجهة النظر هذه فلقد أكد على أن صورة المعرفة هي فقط الطريق الآمن لعلم من العلوم (3) .

ويمكن تعقب فكرة التقدم المستمر منذ العصور الكلاسيكية والوسيطة ويقال ان عمرها يعود الى 2500 سنة ولكن لم يتم ادراكها بشكل عام اكثر، ربما للاقتناع بوصفها فكرة حديثة إلا مع نشأة العلم الحديث في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد تميزت الثورة العلمية في هذين القرنين ضمن اشياء اخرى بالتقارب الكبير بين العلم والفلسفة ويعد هذا نتيجة مباشرة للطريقة التي نوقش بها العلم في كل من العصور القديمة والوسيطة معا ، وكان رد الفعل ضد علم العصور الوسطى والذي لم يكن في العديد من الحالات سواء رد فعل ضد اشكال معينة متحجرة قد أدى الى تطوير مباديء فلسفية حديثة والتي كانت قد تطورت تدريجياً وايضاً كانت تستخدم لتحطيم وإزالة معتقدات المدارس المتزمتة، ومع ذلك فقد كان لها ايضا دور حاسم في بناء العلم الحديث . كذلك يمكن تعقب فكرة التقدم المستمر من خلال شعبية العلم والعقلانية والتفكير العلمي الذي زعزع الثقة في السحر والخرافة والسلطة الفكرية اللاهوتية، وإعادة التأكيد على سلطة العقل وإمكانياته الإبداعية غير المحدودة وهي تلك

الفكرة التي جعلت الإنسان يتحول من النظر الى الماضي والتمثل به الى النظر الى المستقبل ومحاولة صناعته ليتلاءم واحتياجاته وآماله . وقد وضع (جون لوك) اطارا تفسيرياً لطريقة عمل العقل البشري في كتابه (طريق الافكار الجديدة(4)) يشبه فيه العقل بصفحة بيضاء يترك فيها العالم الخارجي انطباعات وفي مرحلة الادراك الاول يكون العقل سالباً مع هذه الانطباعات والاحاسيس وهو يتبع قوله بوجود قوتين في العقل واحدة ترى التشابهات بين الافكار واخرى تميز الفروق بينها وهو ما يسميه (لوك) بالفطنة، فالفطنة توجد بخاصة في تجميع الافكار ووضعها معا وترتيبها حيثما يوجد التشابه او التجانس لتصنع منها صورا ورؤى مقبولة في التصور والحكم وقد كان (لوك) ينظر الى قدرة العقل على ربط الافكار على انها ذات اهمية كبرى بحكم ترابطها طبيعيا بما يناسب درجة الخبرة والتجربة والتأمل ثم الاستنتاج .

ولهذا فإن كل جديد يفضي بالضرورة الى تأسيس فعل اجتماعي ابداعي والى رؤية اجتماعية جديدة منظمة لمنهجية الفكر الإنساني والتي تنعكس بالضرورة على سلوكه في الفكر وفي الفعل. فالابداع ليس تخيلاً او فكراً حالما بل امعاناً محكوماً بمعايير وقواعد يتم تحديدها من خلال حاجات، وصولا الى الجيد والجديد، الذي يغدو مصدرا لتحولات هادفة يحققها الإنسان لنفسه ولمجتمعه فالمجتمعات تتمايز فيما بينها من خلال زاوية النشاط التجديدي (الابداعي) مقاسا بمدى شمولية هذا النشاط في مجالات الحياة المختلفة لصنع حياة دائمة التطور والتقدم الحضاري ،خاصة وان حاجة المجتمعات الى مبدعيها التي حتمتها الضرورة التنافسية في العالم المعاصر مع طبيعة التطور الحضاري الراهن ودخول عصر المعلومات والمجتمع المعرفي اضحت هي اوراق اعتماد عضوية المجتمع ضمن حضارة عصر المعلوماتية على اساس من المعرفة انتاجاً ابداعياً وتوظيفاً خلاقا ،فإشاعة المعرفة وفتح ابواب المعلومات في مناخ من الفعالية والحرية يزيد من حيوية المجتمع وقدرته على الابداع ويضاعف من مناعته ضد الاختراق «فالمعرفة حق طبيعي لكل فرد» باعتبارها قوة وقيمة متزايدة وهي انتاج اجتماعي رئيس. فالمجتمعات الاكثر ثراءً ومنعة وقوة هي اكثرها واسرعها ابداعا للمعلومات وتوظيفا للمعرفة في بناء الحياة . مما لاشك فيه أن التفكير

الابداعي يعتبر من أرقى الوظائف العقلية عند الإنسان وأن الإنتاج الإبداعي هو قمة الإنجاز الإنساني وقد ظهرت بعض الدراسات التي تناولت الإبداع وعلاقته بمتغيرات اخرى اعتمدت على اختيارات معملية لقياس التفكير الإبداعي مثل دراسة (جيراد والاس)(5) ودراسة (موري ميشيل) وغيرهما الكثيرين الذين أكدوا على أن تنمية الفعل الإبداعي ممكنة عن طريق إثارة مهارات التفكير الإبتكاري من خلال التماثلات،بما يؤدي إلى تنمية المعرفة التي بدورها تسهم في تنمية الإبداع لدى الفرد كما تباين علماء النفس والمفكرون والفلاسفة في تفسير العبقرية التي تتبدى في الأعمال والإنجازات الإبداعية ، اختراعات علمية، إبتكارات، أو إبداعات،فنية وأدبية، فالبعض انتهج منهجاً ميتافيزيقياً في تفسيرهم لهذه الظواهر وعزوا ذلك إلى أن الفرد المبدع شخص مشتمل بالعناية الإلهية أو مسيطر عليه من قوى خارجية (شيطانية)، وذهب البعض الآخر من المفسرين إلى أن الإبداع في حد ذاته هو عمل فكري واع يحتاج الى جهد وتفكير وبحث ودراسة كما ذهب فريق ثالث إلى أن العملية الإبداعية تعتمد المنحى البيلوجي (الوراثي)، أما الفريق الرابع فأشار إلى أن الإجتهاد والإتقان والمعرفة التخصصية في فرع من فروع العلم والإلمام به يؤدي بدوره إلى إظهار العبقرية في مجاله، أي أن العملية الإبداعية تعتبر ثمرة جهد وعرق مكتسب خلال مقومات البناء التعليمي للفرد . فقد أكد الكثير من العلماء المفسرين مثل (ليوناردو دافنشي) و (شوبن هاور) الذين ربطوا بين العملية الابداعية وبين الارادة الفكرية ،والبحث والتأمل وتحليل الظواهر بسياق علمي منطقي . فقد رأوا أن المبدع هو الفرد الذي يرى ويلاحظ بعقله ويتأمل ويبحث بإرادة تفسيرية في ذهنه . وينتمي التفكير الإبداعي إلى ما يسميه (جيلفورد) نمط التفكير التباعدي وهو نمط من التفكير يتطلب انتاج اكبر عدد ممكن من الإستجابات للمثير الواحد. هذا النمط التفكيري يتميز بمجموعة من الخصائص الأساسية نذكر منها :

1ـ الأصالة وهي القدرة على إنتاج استجابات جديدة غير تقليدية أو غير شائعة أو متداولة لمثير معين .

2ـ المرونة وهي القدرة على تنوع الاستجابات وإصدار أنواع مختلفة من

الإستجابات لمثير معين .

3ـ الطلاقة وهي القدرة على إصدار أكبر عدد ممكن من الاستجابات لمثير معين .

فالمبدع كما قال عنه (بابلو بيكاسو)(6) «وعاء مليء بالإنفعالات التي تأتيه من كل المواقع وهو وعاء حاوي قادر على احتضان وتخزين القيمة التأملية الفكرية إلى حين إيجاد التفسيرات الظاهرية لها داخل الذهن» بمعنى أنه إذا استمر المبدع في إنجازه اصبح قادراً على تكوين الأفكار التي تدفعه إلى العملية الإبداعية نتيجة توافقات عقلية تساعد الذهن على الإبتكار . إن المبدع يكتشف في ممارسته الإبداعية من خلال إنتاجاته امتداداً لذاته وهو في ذلك يؤكد على مجموعة من الدوافع لعل أهمها :

1ـ دافع الاستقلالية الذاتية والاحكام العقلية وفي التفكير العميق المنظم بحثاً عن مصادر اليقين الموضوعي .

2ـ دافع الإبتكار والأصالة وبهما تزخر شخصيته التي ترنو الى كل ما هو جيد وجديد .

3ـ دافع التفتح على الخبرات إحساساً بقيمة المسؤولية الاجتماعية. كما أكد (كارل روجرز) بأن العملية الابداعية تقوم على أساس وجود دافع يسود الحياة العضوية الإنسانية وهو الدافع إلى الإتساع والإمتداد والنمو والنضج وهذا يعد دافعاً أساسياً من دوافع الإصالة والأبتكار .

4ـ الدافع لمعالجة وتذوق المركب والمعقد وقد تبين من البحوث النفسية في مجالات الإبداع أن تفضيل المعقد يعد من دوافع أنماط الشخصية المبدعة على أساس أنه عنصر من عناصر التذوق فمن الناحية المزاجية إتضح أن الميل إلى التعقيد يرتبط إرتباطاً إيجابياً بالدقة والمجاراة واحترام الأحكام الأخلاقية .

الإنسان هو أعظم مخلوقات الحياة مرونة على وجه هذا الكوكب، والمبدع إنسان يتمتع بقابليات فوق الإدراك الحسي ، إن المبدعين في أي مجال من مجالات المعرفة هم أفراد ذوو قدرات متميزة .

والجدير بالذكر أن تطوير القدرات الإبتكارية لدى المرء منذ البداية لاينفصل عن العملية الشاملة للتنشئة التعليمية على جميع المستويات ولهذا يشير الباحثون إلى عدد من التوصيات لتطوير القدرات الإبداعية لدى الفرد في المراحل التعليمية وضرورة التوافق والإتساق بينها وبين ظروف ومناخ الحياة الإجتماعية .

وتؤكد هذه التوصيات على الآتي :

- تنمية الفضول المعرفي والفكري لدى الفرد (7).
- تنمية الفكر في البحث عن حلول بديلة .
- تنمية القدرة على المبادرة والنظرة النقدية الذاتية .
- الإبتعاد عن التلقين وتحفيز العقل وتدريبه على التفكير .

التعليم بحكم طبيعته منظومة غاية في التعقيد سواء بسبب علاقتها المتشابكة مع ما بخارجها من منظومات إجتماعية اخرى، أو بسبب العلاقات بين مكوناتها الداخلية ،معلم ومتعلم ومادة ضمن منهج ، وما من مجتمع متقدم أو نامي استطاع أن يحقق أقصى ما يطمح اليه من مستهدفات ضمن خطط طويلة الأمد نتاجاً لهذه الصفة التي تحتاج الى دراسات أشمل وذلك لإيجاد صيغ بين الغايات والوسائل. وهكذا ظلت إشكاليات التربية والتعليم تتفاقم وتتعقد وصدرت في شأنها المؤلفات والمقالات والبحوث والدراسات ومازالت على ذلك الحال يكتنفها الغموض .

وتعددت محاولات التشخيص والعلاج وتعددت معها الوصفات التطبيبية واستنفذ الخطاب التربوي جميع مفردات موسوعة التعبير من تجديد وتطوير وإصلاح وتثوير، وهكذا ظل الأمر على ماهو عليه، إصلاح تلو إصلاح ولازالت بعض الأهداف إلى حد ما لم تتحقق لأسباب نذكر منها :

1ـ معظم محاولات الإصلاح التربوي تأتي من القمة أو من خارجها ولاتمثل في أغلب الأحيان برامج عملية قابلة للتنفيذ ولاتخرج عادة عن كونها مستهدفات ورؤى تتناثر بملامستها للواقع التعليمي التطبيقي .

2ـ المقاومة الداخلية التي تبذلها مؤسسات التعليم الرسمية ضد التغيرات الجذرية ذات الطابع الراديكالي وذلك لقصورها الذاتي البطيء بحكم دورتها السنوية ومراحلها الدراسية المترابطة وأيضاً بحكم الضغوط الإجتماعية والقيود البيروقراطية .

3ـ كون العملية التعليمية شريدة معرفياً (8) تتنازعها علوم إنسانية حائرة ما بين علم النفس والإجتماع ونظريات المعرفة وفلسفة العلوم، فمعظم علوم الإنسانيات أبعد ما تكون عن الإستقرار نظرياً وعملياً فهي مازالت تنشد الوصول إلى مستوى العلوم التطبيقية الدقيقة . وقد عاقت هذه التبعية ظهور نظرية متبلورة للتعليم كعلم مستقل في الوقت الذي يرى فيه البعض عدم الحاجة الى مثل هذه النظرية. فالإنسانيات في نظرهم قادرة على أن ترسم للتعليم توجهاته وتحدد له منطلقاته وهكذا تاهت نظرية إستقلالية التعليم بين عدم الإستقلال وعدم الإستقرار في انتظار ما سوف يحدث على صعيد العلوم الإنسانية التي تتطور هي الأخرى بفعل المتغير المعلوماتي وما يحمله من تغيرات جذرية على الصعيدين الإجتماعي والثقافي .

إن العملية التعليمية بجانب كل ما ذكرناه سابقاً تتضمن تناقضاً جوهرياً في صميم ما تصبو إليه متطلبات المتعلم وتلبية أهداف المجتمع من جهة ، بين تحرير الفرد وإطلاق قدراته وتنمية إرادة التغيير لديه وبين أن تُفرض عليه الإنضباط والإنقياد من أجل تطور المجتمع واستقراره . إن التعليم والتربية يسعيان لإقامة مجموعة من المتوازنات شبه المستحيلة بين العالمي والمحلي، وبين الروحي والمادي، وبين الكلي والخصوصي، وبين التقاليد والحداثة، والمدى القصير والطويل،والحاجة إلى التنافس وتكافؤ الفرص، وبين التوسع في المعارف والعلوم والقدرة على استيعابها . هذا التناقض الجوهري وهذه الإشكاليات تكّون في مجملها معضلة منظومة التعليم والتي بدورها تشكل المنظومة الإجتماعية في عمومها، الحائرة بين الإستقرار ومداومة التغيير وسيظل التناقض التربوي مادام التناقض بين الأهداف والوسائل باقيا . إن حضارة اليوم تواجه سؤالاً محورياً له شقين :

الشق الأول : كيف يتكيف إنسان هذا العصر مع متغيرات حاضره

ومستقبله أملاً في حياة أكثر اكتفاء ومعرفة؟ .

الشق الثاني : كيف يحسن المجتمع الإنساني إستغلال موارده البشرية لحل مشكلاته التي تتزايد باستمرار؟ ، أكدت الدراسات الاجتماعية والتاريخية التحليلية والتي اهتمت بتطور الإنسان وتعامله مع من حوله وأيضاً مع ما حوله من مكونات البيئة والمحيط على ان مسيرة الإنسان في الحياة وحصيلته التعاملية معها يمكن تقسيمها إلى مرحلتين اساسيتين تشكلان الحصيلة المعرفية للفرد .

المرحلة الأولى (الفطرية) أو الغريزية .

وهي مرحلة التفاعل البيولوجي مع المقومات الأساسية للحياة. تلك التفاعلات الفطرية التي تفرضها الحاجة المتواصلة والمتتابعة للحصيلة الزمنية التي يعيشها الكائن الحي . فالإنسان يتوافق ومجموعة من التراتيب الضرورية للايفاء بمتطلبات لازمة مثل الغذاء والكساء والشعور بالخطر والخوف .

وتتسم هذه المرحلة الغريزية بأن لها قدرة تفاعلية للايفاء بالحد الادنى لصيرورة الكائنات الحية دون تخصيص . وأيضا بأنها غير متطورة، بمعنى أنها إرادة ضرورية غير خاضعة لمقاييس استبطانية ويمكن تباينها من كائن إلى آخر بما فيها الإنسان .

الغريزة :

والغريزة موصوفة بالولادية (الفطرة) بمعنى أن الغريزة تنتقل وراثياً وهي في العضوية منذ الولادة وإنها تنمو بنمو هذه العضوية ونضجها ، إن السلوك الغريزي إذاً هو بالضرورة سلوك غير مكتسب والذي يمكن في بعض الأحيان فقط أن يتحسن بالتجربة أو أن يرافقه اكتساب محدود . ولكنه ذو خاصية متميزة كونه ينمو من الداخل أي انه يصدر عن آليات داخلية كامنةتنطلق بفعل حاجات بيولوجية أو إثارة حسية ويمكن للغريزة أن تستخدم لتدل على فئة من الأفعال التي :

1ـ تمثل عموما مشاركة مجمل العضوية الجسمانية .

2ـ تتحقق دفعة واحدة بشيء كاف من الكمال ودون تقدم لاحق في اغلب الاحيان .

3ـ تمتلك مطاطية (مرونة) نسبية بين حدود ضيقة جداً .

4ـ تتأثر إلى حد ما بالظروف الآنية .

5ـ لاتكتسب بالتجربة الفردية ودائماً تصدر عن آلية وجدت منذ الولادة .

وتطورت هذه التفاعلات الفطرية كنتاج لاحتياجات الإنسان التي أملتها عليه ظروف المعيشة وضرورة التكيف مع قوانينها الطبيعية وغير الطبيعية، وكان هذا التفاعل (التطور) ملزماً باعتباره تكيفاً يسد حاجة ماسة لاستمرارية الحياة. وكنتيجة حتمية للانسان من أجل توفير مستلزمات (الحاجة) اطلق العنان لخصوصيته التي تميز بها عن غيره من الكائنات الحية الاخرى وهي (العقل) الذي يعني بالضرورة الآلية التي بها يمكن أن يفترض ـ أن يجرب ـ أن يستنتج وأن يعمم . بمعنى أن (العقل) ذاك العضو في جسم الإنسان الذي من خلاله يكون الإنسان واعيا ومعللاً وراغباً ومتفاعلا حسيا وله خصوصية تخزين كمية غير محدودة من المعرفة بجميع أنواعها المادية (الملموسة) والمعنوية (الحسية) وقادراً على الاستنتاج والاستنباط والوصول الى حقائق (مسلمات) من خلال افتراضات ومعطيات مجزأة وغير متوافقة .

ويتميز العقل بأنه دائما في حالة استنفارية لتخزين واستدعاء معرفي غير متأثر بمعطيات الجدة والقدامة وغير مؤطر مكانياً بمكونات جغرافية .

والعقل ايضا يختص بمرونة دائمة وقابلية للتدرب والتمرن دون عوائق (مادية) بل بقدر تمرنه بقدر ما ينمو معرفيا . (9) أي أنه ليس له علاقة بالنمو المادي سواء الزمني أو الحتمية لجسم الإنسان ونموه بل يقاس بمقدار الكمية المعرفية التي يحتويها .

المرحلة الثانية : المرحلة الأساسية مرحلة (التعليم) (المكتسبة) .

ومن خلال هذه المرحلة يتعرف الإنسان الى مجموعة تراتبية تعليمية أيضاً، متواصلة لكنها تخضع لجدولة زمانية، ويمكن وصفها بأنها مترابطة من خلال بناء تعليمي أساسي .

ويشمل هذا البناء جميع مكونات التجربة الإنسانية بكل معتقداتها وتوجهاتها الدينية والعرفية وتحدد مصادرها من خلال البيئة والمحيط التي يتفاعل معها الإنسان في هذه المرحلة التي تتسم بقدر من الوعي الإنساني بما حوله وعلاقته بمن حوله ايضا . ويمكن تحديد مصادر المعرفة والتعلم بهذه المرحلة بالآتي :

المصدر البشري : ويتمثل في مكونات المجتمع وأفراده والراعين لتنمية وتنشئة الفرد وتعتمد هذه المصادر على مقومات التجارب المعرفية والعلمية والعقائدية .

المصدر البيئي : ويتمثل في جميع مصادر المعرفة التعليمية المباشرة وغير المباشرة ، وبرؤية متفحصة لعوامل شتى اقتصادية ، سياسية ، اجتماعية. نجد ان مناهج التعليم تعتبر دائماً متغيرة كنتاج لما ينتج من التطورات التقنية في مجالات العلوم المختلفة .

إن ما تم سرده يقودنا إلى تعريف التعليم بصورة أكثر وضوحاً ضمن التعريفات التي ساهمت في اعطاء تعريف شمولي لماهية التعلم وفي مجملها تؤكد على أن التعليم هو مجموع العناصر التي لها علاقة بطرق التفكير والشعور والسلوك . هذه الطرق التي صيغت في قواعد واضحة للتجارب التي اكتسبها الفرد وتعلمها وشارك فيها وتستخدم هذه العناصر بصورة موضوعية ورمزية في آن واحد من أجل تكوين الفرد .

إن التعليم التراتبي والمتناسق عبر العصور والأزمنة أفرز تجاوز صيغة الفرد بمعناها المحدد وأضحت تضم اجيالاً بكاملها، بمعنى انها اتخذت صبغة الشمولية العددية لاجيال لاحقة. هذا في جانب وفي الجانب الآخر تطورت صيغ التفكير والشعور والسلوك لدى الجميع إلى أن أفرزت مقومات متنوعة من

وسائل التواصل الثقافي والمعلوماتي والتبادل المعرفي حتى اتسمت أيضا بشمولية التدفق المعرفي في شتى المجالات وفي جميع الاتجاهات .

ان نجاح المجتمع الإنساني في إحداث النقلة النوعية لعصر المعلومات يعتمد على مدى نجاحه على الصعيد التعليمي ويعيب الكثيرون على آلية التعليم تباطؤها في استيعاب المتغيرات التكنولوجية والاقتصادية، في حين يرى آخرون ان هذا يرجع الى ما يسمى بالوعي الحفظي أو الأرشيفي (10) والذي تساعد غالبية صفاته السلبية على تثبيب الخمول الفكري وتقاوم تطبيق الطرق الإبداعية المتطورة ،حتى ان تطبيق منجزات الثورة العلمية التقنية ، بل ونجاح التنمية الشاملة اجمالاً يتوقفان هنا على مدى تطوير وتحديث التكوين العلمي للافراد .

إن تطور أساليب التعليم يبديء تأثيراً كبيرا على سائر خصائص هذا الوعي الحفظي التقليدي فهو يغيره ليصير اكثر عقلانية واكثر تنظيماً (اي تمتعا بالصفات النظرية المجردة) وهذا الدور التغيري التحويلي الذي يلعبه هذا التطوير يتجه نحو التصاعد والتأثير المتعاظم .

يؤثر العلم على نمط الحياة والذي يعتبر مقياسا مهما لتقييم المناخ الإبداعي للمجتمعات المعاصرة، واذ يتغير نمط الحياة تتغير ثقافة المجتمع وتكوينه الفكري، وتجرى عمليات التغير والتأثير مع تصاعد عالمية وسائل الاتصال وطرق نقل المعلومات اضافة الى التحولات الثقافية التعليمية الصاعدة والتوجهات الديمقراطية الإنسانية التي اسهمت في تحول العاملين الاجتماعيين للقيم الثقافية والتعليمية ولكل قواعد السلوك. هذه القواعد التي تنظم الأفعال لكل نشاط انساني ثقافي .

نستنتج إن الإنسان بمعايشته للتطورات المعرفية التي تساهم في تنمية مخزونه المعرفي، بقدر ذاك المخزون المعرفي الناتج عن المعايشة لهذا التطور تزداد القدرة الإبداعية دون الالتزام بالضوابط التقليدية لعملية التعليم التلقيني باعتبار أن هذه الضوابط على ضوء التطورات المعرفية المطلوبة في هذا العصر أصبحت غير ملائمة لمتطلبات التطور بكل معانيه .

الاستنتاجات :

1ـ القدرة الإبداعية للفرد تنتج عن التحفيز .

2ـ العلوم التخصصية المعاصرة بشقيها تكوّن الأدوات القادرة على توسيع دائرة القدرة على الفرضيات ثم الإستنتاجات واخضاع هذه الإستنتاجات والفرضيات للتجريب للوصول إلى مسلمات .(11)

3ـ إن الإبداع يعتبر عملية عقلية واعية (12) تنتج عن سياقات تعليمية لصياغة قدرة واعية عقلانية وموضوعية .

وفي النهاية نؤكد على ان معوقات الابداع هي في الأساس معوقات تعليمية واذا ما عرفنا الابداع على هذا النحو وانه قضية العصر واساس النهضة ورهان المستقبل، عرفنا انه لابد وان نكون اقوى في انفسنا وان نهيء الاسس والمتطلبات الاساسية اللازمة لانطلاق إبداعي كي نواكب العصر .

1ـ المعجم الفلسفي المختصر دار التقدم . موسكو 1986 ص 6 .

2ـ حيدر ابراهيم علي الابداع في المجتمع العربي . سلسلة إبداع (8) ـ المغرب 1993 ص25 .

3ـ برنال ، ج.د . ترجمة فاروق عبدالقادر . العلم في التاريخ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت 1982 .

4ـ عبدالواحد لؤلؤة ترجمة المصطلح النقدي موسوعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1979 .

5ـ شاكر عبدالحميد (التفضيل الجمالي) ، دراسة سيكولوجية للتذوق الفني سلسلة عالم المعرفة العدد (267) الكويت .

6ـ الابداع واستراتيجيات التدريس ، د. آمال حسين دار الثقافة الاسكندرية 2000 .

7ـ حمد كامل حسين (عباقرة خالدون) ، منشورات المكتب العالمي ، بيروت 1978 .

8ـ عبدالحليم محمود السيد . الاسرة وابداع الابناء دار المعارف ـ القاهرة 1980 .

9ـ الابداع من المنظور التكاملي . مكتبة الانجلو مصرية ـ القاهرة 1997 .

10ـ حسن احمد عيسى الابداع في الفن والعلم. دار المعرفة ـ الكويت 1979 .

11ـ عبدالستار ابراهيم (الابداع قضاياه وتطبيقاته) ، مجلة التأهيل الادبي وكالة المطبوعات الكويتية 1974 .

12ـ عبدالعلي التلمساني. سيكولوجية الابداع في الحياة ، منشورات الدار العربية للعلوم، 1995